* **باب فضل التّوحيد وما يكفر من الذنوب.1**

لما بيّن في الباب الذي قبله حقيقة التّوحيد، ومعنى التّوحيد المطلوب، ووضّح ذلك بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ناسب أن يذكِّر فضله ليرغب فيه، ويحث عليه، لأن الشيء إذا عُرفت مزاياه فإن النفس تتعلق به وتحرص عليه، فلابد أن تُبيّن حقيقة الشيء ومعناه، ثم بعد ذلك تبين فضله.

\*فلا يكفي أننا نمدح الإسلام ونثني عليه فقط، لابد أن تبيّن ما هو الإسلام، ما هي حقيقة الإسلام الذي يُنجي من الكفر، ويدخل في التّوحيد، ويُنجي من النار ويدخل في الجنة، وما هي نوا قض الإسلام التي تُفسد الإسلام، وتُخرج منه، وما هي مكمِّلاته، وما هي منقِّصاته، لابد من هذا، أما مجرد المدح، وذكر الفضائل بدون إنك تبيّن حقيقة الشيء، فهذا خطأ عظيم،

\*والإسلام هو ما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان عليه صحابته الكرام، وكان عليه القرون المفضلة، أما ما خالف ذلك فليس من الإسلام في شيء، وإن كان صاحبه يدَّعي أنه هو الإسلام.

قال رحمه الله تعالى: "وقول الله- تعالى- {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} هذه الآية جاءت بعد ذكر مناظرة إبراهيم الخليل- عليه الصلاة والسلام- لقومه، لأن قومه كانوا يعبدون الكواكب.

لأنه يجب على الإنسان أول ما يبدأ بنفسه، ثم بأقرب الناس إليه، وأهل بيته، وجيرانه، ثم ينتشر في الدعوة إلى الله شيئاً فشيئاً.

وقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} أطلعه الله سبحانه وتعالى، على ذلك من أجل أن يؤهله لحمل الرسالة، والدعوة إلى الله عز وجل والمناظرة، {وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} الموقنين بالله سبحانه وتعالى وتوحيده، ويزول عنه أي شك أو أي ارتياب، أو أي شبهة، يكون على وضح اليقين.} رَءا كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي} هذا من باب المناظرة.{فَلَمَّا أَفَلَ} يعني: غاب واختفى، {قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ} لأنه لو كان رباً ما غاب ولا اختفى، فهذا مما يُبطل ربوبية هذا الكوكب. ثم تدرج إلى أكبر الكواكب هي الشمس، وإذا بطلت عبادة الشمس بطلت عبادة بقية الكواكب من باب أولى، {إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} الآن صرّح بالتّوحيد، وبين بطلان عبادة هذه الكواكب التي يعبدونها، تقرّر عقلاً وشرعاً وفطرة أنها ليست بآلهة، وأعلن البراءة، وهي الهجر والترك والابتعاد عنه.

{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82) } هذا هو الحكم الإلهي، {الَّذِينَ آمَنُوا} ، وهذا عام في قوم إبراهيم، وغيرهم من الخلق، يعني: الذين وحّدوا الله، وأخلصوا له العبادة، {وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} المراد بالظلم هنا: الشرك، لأن الظلم- كما بيّن أهل العلم- ثلاثة أنواع:

النوع الأول: وهو أعظمها-: ظلم الشرك، قال- تعالى-: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} لماذا سُمي الشرك ظلماً؟ لأن الظلم في الأصل: وضع الشيء في غير موضعه، والشرك معناه: وضع العبادة في غير موضعها، وهذا أعظم الظلم، لأنهم لما وضعوا العبادة في غير موضعها، أعطوها لغير مستحقها، وسوَّوْ المخلوق بالخالق، سوَّوْ الضعيف بالقوي الذي لا يُعجزه شيء، وهل بعد هذا ظلم؟

والنوع الثاني: ظلم العبد نفسه بالمعاصي، فالعاصي إنما ظلم نفسه، لأنه عرّض نفسه للعقوبة،

النوع الثالث: ظلم العبد للناس: بأخذ أموالهم، أو غيبتهم، أو نميمتهم، أو غير ذالك.

أما النوع الأول وهو: ظلم الشرك، فهذا لا يغفره الله أبداً إلاَّ بالتوبة {إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} .

وأما النوع الثالث وهو: ظلم العبد للناس، فهذا لا يترك الله منه شيئاً، لابد من القصاص، إلاَّ أن يسمح المظلومون،

الدواوين ثلاثة:1- ديوان لا يغفره الله، وهو الشرك. 2- ديوان لا يترك الله منه شيئاً، وهو مظالم العباد 3- ديوان تحت المشيئة إن شاء الله غفر لصاحبه، وإن شاء عذبه، وهو الذنوب والمعاصي التي دون الشرك.

فهذا معنى قوله: {وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} يعني: بشرك، هذا هو الذي فسَّرها به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنها لما نزلت هذه الآية شقت على الصحابة، قالوا: يا رسول الله أيُّنا لم يظلم نفسه؟، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنه ليس بالذي تَعْنُون، إنه الشرك، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: {يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} .

وقوله تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ} هل المراد في: الأمن المطلق يعني: أنهم لا يعذبون أبداً، أو المراد مطلق الأمن أي أنهم وإن عذبوا فلابد أن يدخلوا الجنة؟، الآية محتملة، وعلى كلا التفسيرين فالآية تدلُّ على فضل التّوحيد، وأنه أمن من العذاب إما مطلقاً وإما يُؤَمّن من العذاب المؤبّد، فالآية فيها فضل التّوحيد، وأنه يمنح الله لأصحابه الأمن على حسب درجاتهم في التّوحيد والسلامة من الذنوب والمعاصي، ودلّت الآية بمفهومها على أن من أشرك بالله وخلط توحيده بشرك أنه ليس له أمن- والعياذ بالله، فهذا فيه خطر الشرك. فليس المقصود أن الإنسان يعبد الله فقط، بل لابد- أيضاً- أن يتجنّب الشرك، وإلاَّ فالمشركون لهم عبادات، كانوا يحجون، وكانوا يتصدقون، وكانوا يطعمون الأضياف، وكانوا يُكرمون الجيران، ولهم أعمال لكنها ليست مبنيّة على التّوحيد، فهي هباء منثور، لا تنفعهم شيئاً يوم القيامة، قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً{لا يثبّت الأعمال إلاَّ التّوحيد، ما دام هناك شرك فالأعمال لا قيمة لها، مهما أتعب الإنسان نفسه فيها، وهذا يدلُّنا على فضل التّوحيد.

\*والأمن من الحروب، تعرفون قيمته، وخطر الخوف، هذا في الدنيا فكيف بالأمن في الآخرة من النار. ثم قال: {وَهُمْ مُهْتَدُونَ} هذه مزيّة ثانية من مزايا التّوحيد، وهي حصول الهداية للموحّدين المخلصين لله، أنهم في الدنيا يكونون مهتدين في أعمالهم، يعبدون الله على بصيرة، سالمين من الشرك في الأعمال، وسالمين من البدع والخرافات، بخلاف أهل الشرك، فإنهم غير مهتدين في الدنيا، بل هم ضالون، لأنهم يعبدون الله، ويخلطون العبادة بالشرك، ويعبدون غير الله، فهم ضالون لا مهتدون، إذاً الموحّد يعطيه الله مزيتين:

المزيّة الأولى: الأمن من العذاب. المزيّة الثانية: الهداية من الضلال بحيث أنه يعبد الله على بصيرة وعلى نور وبرهان، متبعاً للسنّة متبعاً للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

\*قوله: " من شهد أن لا إله إلاَّ الله"، يعني: نطق بالشهادة عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها، موقناً بها، لأنه لا يكفي التلفظ، بالشهادة من غير معرفة لمعناها لكن ولا يعمل بمقتضاها فليست هي مجرد لفظ يردَّدُ على اللسان بل لابد من العمل بمقتضاها، بأن يُفرد الله بالعبادة، ويترك عبادة ما سواه، هذا معنى "أشهد أن لا إله إلاَّ الله" فإذا لم ينطق بها فإنه لا يحكم بإسلامه، ولو كان يعرفها بقلبه، ولو كان يعبد الله في أعماله،لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلاَّ الله" وكذلك من نطق بها بلسانه ولكنه لا يعتقدها في قلبه، هذا -أيضاً- ليس بمسلم، بل هو منافق، فالمنافقون يقولون: لا إله إلاَّ الله، وهم في الدرك الأسفل من النار, وعُبّاد القبور اليوم يقولون لا إله إلاَّ الله بألسنتهم، لكنهم لا يعملون بمقتضاها، بل يعبدون القبور والأضرحة.

فالحاصل أنها كلمة عظيمة، لكن لابد أن يتوفّر: أولاً: النطق بها. وثانياً: العلم بمعناها. وثالثاً: العمل بمقتضاها.

ومعنى: {لا إله إلاَّ الله} نفي العبادة عما سوى الله، وإثباتها لله سبحانه وتعالى. معنى لا إله إلاَّ الله: لا معبود بحق- أو لا معبود حقاً- إلاَّ الله سبحانه وتعالى، أما لو قلت: معناها: لا معبود إلاَّ الله، نقول: هذا ضلال عظيم، لأنك أدخلت كل المعبودات وجعلتها هي الله، جعلت الأصنام والأضرحة والكواكب وكل ما عُبد من دون الله هو الله، وهذا غلط، وهو مذهب أهل وحدة الوجود. فلابد أن تأتي بكلمة حق، لأن المعبودات على قسمين: معبود بحق، ومعبود بالباطل، المعبود بحق هو الله، والمعبود بالباطل هو ما سوى الله من كل المعبودات. وقوله: "وحده لا شريك له" كلمتان جيء بهما للتأكيد، وحده: تأكيد للإثبات، لا شريك له: تأكيد للنّفي، فهما كلمتان مؤكِّدتان للا إله إلاَّ الله، لما فيها من النفي والإثبات.

وقوله: "وأن محمداً عبده ورسوله" هذا يدل على أنه لا يكفيه شهادة أن لا إله إلاَّ الله، بل لابد معها من شهادة أن محمداً رسول الله، فلو شهد أن لا إله إلاَّ الله، وأبى أن يشهد أن محمداً رسول الله. وقوله: "وأن محمداً عبده ورسوله" هذا نفي للإفراط والتفريط، عبده هذا نفي للإفراط والغلو في حق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجعل شيء له من الربوبية، كما يعتقد المخرِّفون، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبدٌ ليس له من الرُّبوبية شيء، وقد سمَّاه الله عبداً في أشرف المقامات، في مقام الوحي: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا }. فهو عبد لا يُعبد- عليه الصلاة والسلام-، ورسول لا يُكذّب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل يُطاع ويُتبع، فليس له من العبادة شيء، فالذين يطلبون منه المدد، ويطلبون منه النصر على الأعداء،ما أقرُّوا أنه عبد الله، بل جعلوه شريكاً لله في ربوبيّته وإلهيّته، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "لا تُطْرُوني كما أَطْرَت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله".

وقوله: "ورسوله" هذا رد على أهل التفريط، الذين لا يقدِّرون الرسول حق قدره، إما يجحدون رسالته -عليه الصلاة والسلام-، وإما أنهم يقرّوُن برسالته، لكنهم لا يتبعونه الإتباع المطلوب، فهؤلاء لم يشهدوا أنه رسول الله، وشهادتهم إما باطلة وإما ناقصة، باطلة إن كانوا لا يتبعونه أبداً، وناقصة إن كانوا يتبعونه في بعض الأشياء ويخالفونه في بعض الأشياء رغبة لنفوسهم وشهواتهم.

فقوله: "ورسوله " هذا رد على أهل التفريط والتساهل في حق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أعظم الخلق- عليه الصلاة والسلام-، وأشرف الخلق، وأفضل الرسل، فلا يُتساهل في حقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن ليس معنى هذا أننا نغلوا فيه، ونجعل له شيئاً من الربوبية، فلا إفراط ولا تفريط.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه" عيسى -عليه الصلاة والسلام- هو عيسى بن مريم، خلقه الله من أم بلا والد، وذلك ليُظهر للعباد قدرته سبحانه على كل شيء، وقصة مريم عليها السلام.

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وأن عيسى عبد الله ورسوله" هذا فيه ردٌّ على اليهود وردٌّ على النصارى. أما اليهود فلأنهم جحدوا رسالة عيسى عليه السلام، ورموه بالبُهْت- والعياذ بالله- وقالوا: إنه ولد بغي، قبّحهم الله وأخزاهم، وحاولوا قتله، وسلّمه الله منهم ورفعه إليه، وألقى عليهم الخزي.

وفيه ردٌّ على النصارى الذين لم يقرِّوا بأن عيسى عبد الله، وإنما ادعوا أنه ابن الله، أو أنه ثالث ثلاثة، أو أنه هو الله، ثلاث مقالات لهم، ذكرها الله جل.\*وقوله: "وكلمته ألقاها إلى مريم"، الكلمة قوله تعالى لعيسى: {كُن} ، لأن عيسى وُجد من غير أب، بل وُجد بكلمة {كُن} وليس هو الكلمة، وإنما سُمِّيَ بالكلمة لأنه خُلق بها، بخلاف بقية البشر فإنهم يُخلقون من أب وأم.\*وقوله: "وروح منه" ليس المراد أن عيسى روح من الله، بمعنى أنه من ذات الله، وإنما من روحه المخلوق، لأن الله خلق الأرواح جميعاً. لكن عيسى عليه السلام خُصَّ بذلك لأنه من غير أب، بل هو روح من دون أب.

\*وقوله: "والجنة حق، والنار حق" يعني: ومن شهد أن الجنة -وهي دار المتقين-، والنار- دار الكافرين-؛ كل منهما حق، وأنهما داران موجودتان مخلوقتان، وباقيتان لا تفنيان أبداً، الجنة للمتقين، والنار للكافرين، فالدُّور- كما ذكر ابن القيّم- ثلاث:

الأولى: دار الدنيا، وهي دار العمل والاكتساب الدار الثانية: دار البرزخ، وهي دار القبور، برزخ بين الدنيا والآخرة، والبرزخ معناه الفاصل، والحياة في القبور، تسمى بالحياة البرزخيّة، وفيها عجائب، فيها نعيم أو عذاب، إما حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، ويبقى الأموات في قبورهم إلى أن يشاء الله جل وعلا بَعْثَهُم وحَشْرَهُم للحساب والجزاء، والثالثة: دار الجزاء، التي هي يوم القيامة، الجنة أو النار، وهذه الدار لا تفنى ولا تبيد أبداً، وإذا آمن الإنسان بهاتين الدارين، فإن ذلك يحمله على العمل الصالح والتوبة من الذنوب والسيئات. فالإيمان باليوم الآخر والجنة والنار يحمل العبد على العمل الصالح والتوبة من الذنوب والسيئات. فالكَفَرَة على اختلاف أصنافهم: من مشركيّة، ودهريّة، وفلاسفة، وباطنية، كلهم لا يؤمنون باليوم الآخر، ولهذا توعد الله سبحانه وتعالى هؤلاء بقوله: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (115) } يعني: لو كان ليس هناك بعث ولا حساب، صار خلق الله لهذه المخلوقات في باب العبث، لأنها لا تؤدِّي إلى غاية ولا نتيجة، فالظالم يظلم في هذه الدنيا، والقاتل يقتل، والعاصي يعصي، والمطيع يُتعبُ نفسه بالطاعة والعبادة ولا يلقى جزاء- تعالى الله عما يقولون، أما إذا كان هناك بعث ونشور وجزاء على الأعمال. المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، كان خلق الخلق إذاً لحكمة وغاية، وليس عبثاً، فهناك من الظَلَمة من يموت وهو ما جوزي في هذه الدنيا، وهناك من الصالحين من يموت وهو فقير مريض، لماذا؟ لأن الجزاء في الآخرة،فهذا وجه النص على الإيمان بالجنة والنار، لأن الإيمان بهما يحدو على العمل الصالح، والتوبة من العمل السيئ، ولأن البعث والحساب أنكره كثير من الطوائف الكافرة، فلابد من الإيمان به، والتصديق به، والإقرار به، وهو أحد أركان الإيمان الستة. وقد ذكر في هذا الحديث البراءة من الملل الثلاث: "ملة اليهود؛ وملة النصارى، وملة المشركين" فهو حديث عظيم. والشاهد من هذا الحديث للباب: "باب فضل التّوحيد وما يكفر من الذنوب " أن الرسول قال في آخره: "أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" هذا وعد من الله سبحانه وتعالى لأهل التّوحيد بأن الله يدخلهم الجنة.

**لكن ما معنى: "على ما كان من العمل"؟، في ذلك قولان لأهل العلم :القول الأول: أدخله الله على ما كان من العمل، يعني: ولو كان له سيئات دون الشرك فإن ذلك لا يحول بينه وبين دخول الجنة، إما من أول وَهْلَة، وإما في النهاية، ففيه: فضل التّوحيد، وأنه يكفر الذنوب بإذن الله أو يمنع من الخلود في النار. لكن ما معنى: "على ما كان من العمل"؟، في ذلك قولان لأهل العلم:**

**القول الأول: أدخله الله على ما كان من العمل، يعني: ولو كان له سيئات دون الشرك فإن ذلك لا يحول بينه وبين دخول الجنة، إما من أول وَهْلَة، وإما في النهاية، ففيه: فضل التّوحيد، وأنه يكفر الذنوب بإذن الله أو يمنع من الخلود في النار.**

**وفي الحديث -أيضاً-: وجوب الإيمان بجميع الرسل- عليهم الصلاة والسلام ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بالجميع،والرسل كلهم يصدِّق بعضهم بعضاً، ويؤمن بعضهم ببعض..**

**"في حديث عتبان""حرّم على النار" التحريم: المنع، أي: منعه من دخول النار، أو منع النار أن تمسه.**

**من قال: لا إله إلاَّ الله" أي: نطق بها بلسانه وأعلنها.**

**"يبتغي بذلك" أي: بقوله لها ونطقه بها.**

**"وجه الله" أي: مخلصاً له بها، لم يقلها رياءً ولا سمعةً ولا نفاقاً، بل يعتقد ما دلّت عليه من إفراد الله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه، واعتقاد بطلانها، والبراءة منها ومن أهلها.**

**فدل هذا الحديث: على أنه لا يكفي مجرّد النطق بلا إله إلاَّ الله من غير معرفة لمعناها، وعمل بمقتضاها، واعتقاد لمدلولها.**

**"عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قال موسى: يا رب، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به" طلب من ربه أن يعلمه كلاماً يعظّمه به، ويطلب منه به حاجاته، ويتوسل به إليه.**

**"قل يا موسى: لا إله إلاَّ الله" أي: لا معبود بحق إلاَّ الله.**

**قال" أي: الرب سبحانه وتعالى مبيناً لموسى وغيره فضل هذه الكلمة على غيرها من ألفاظ الذكر، "لو أن السماوات السبع" أي: الطباق، "وعامرهن" أي: من فيهن من العمّار "غيري" أي: غير الله سبحانه، لأنه سبحانه في السماء. ففيه دليل على إثبات العلو "والأرضين السبع" أي: ومن فيهن من السكان. وفيه أن الأرض سبع طباق كالسماء، "في كِفَّة" أي: إحدى كفتي الميزان، "ولا إله إلاَّ الله في كفة" أي: في الكفة الأخرى، "مالت بهن لا إله إلاَّ الله" أي: رجحت.**

**ففي هذا الحديث: فضل لا إله إلاَّ الله، وأنها أفضل الذكر، وأنه لابد من الإتيان بها كلها، وما فيها من النفي والإثبات، وأنه لا يكفي الإتيان بلفظ الجلالة (الله) أو لفظ (هو هو) كما تفعله الصوفية الضلاَّل. وفيه أن الذكر وغيره من أنواع العبادة توقيفي، لأن موسى عليه السلام طلب من ربه أن يعلمه شيئاً يذكره به، فيه أن لا إله إلاَّ الله ذكر ودعاء.**

**"عن أنس: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا" قراب الأرض- بضم القاف-: ملؤها أو ما يقاربه، "لأتيتك بقرابها مغفرة".**

**فيه: أن مغفرة الذنوب مشروطة بتجنب الشرك، وفيه فضل التّوحيد، وفيه الرد على الخوارج الذين يكفّرون بالكبائر، وفيه سعة فضل الله ورحمته.وبالله التوفيق**.

* **باب الخوف من الشرك :2**

لأنه لا يكفي أنّ الإنسان يعرف التّوحيد ويعمل به، بل لابد أن يعرف ضدّه وهو الشرك، خشية أن يقع فيه، ويُفسد عليه توحيده، لأن من لا يعرف الشيَّء يوشك أن يقع فيه،إذاً لا يعرف قيمة التّوحيد، وفضل التّوحيد، وتحقيق التّوحيد إلاَّ من عرف الشرك وأمور الجاهلية حتى يتجنّبها، ويحافظ على التّوحيد،ذكر الشيخ "باب الخوف من الشرك" بعدما ذكر أبواب التّوحيد وفضله، وما يكفر من الذنوب، وتحقيق التّوحيد وهذه نعمة عظيمة لكن إذا حازها الإنسان، فإنه يخشى من ضدها، فلابد أن يعرف ضدّها حتى يتجنّبه، فلنتنبّه لهذا الأمر، فإن هناك أناساً الآن كثيرين يزهِّدون في تعلم هذه الأمور: تعلّم التّوحيد، تعلّم الشرك، معرفة الشُّبَه والضلال، وهذا إما من جهلهم، وإما لأنهم يريدون الدّس على المسلمين،وإفساد عقيدة المسلمين،ولهذا قال الشيخ: "باب الخوف من الشرك" أي: أن الموحّد يجب أن يخاف من الشرك، ولا يقول أنا موحّد وأنا عرفت التّوحيد، ولا خطر علي من الشرك، هذا إغراء من الشيطان، لا أحد يزكي نفسه، ولا أحد لا يخاف من الفتنة ما دام على قيد الحياة، فالإنسان معرّض للفتنة، ضلّ علماء أحبار، وزلّت أقدامهم، وخُتم لهم بالسّوء، وهم علماء، فالخطر شديد، ولا يأمن الإنسان على نفسه أن تَنْزَلِق قدمه في الضلال، وأن يقع في الشرك، إلاَّ إذا تعلم هذه الأمور من أجل أن يجتنبّها، واستعان بالله، وطلب منه العصمة والهداية. قال: "وقول الله عزّ وجلّ: " {إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} " هذا خبر من الله عن نفسه سبحانه وتعالى مؤكّد بـ "إنّ".

أنه: " {لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} " فهذا فيه خطورة الشرك، فالله لا يغفر للمشرك مع أن رحمته وسعت كل شيء، ولكن المشرك لا يدخل فيها، لعِظم جريمته. كل الذنوب مَظِنّة المغفرة ورجاء المغفرة إلاَّ الشرك. والشرك لا يمكن تجنبه إلاَّ إذا عرف وعرف خطره. قوله.: "وقال الخليل عليه السلام: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ} الخليل هو إبراهيم عليه السلام،مع هذه المنزلة العظيمة التي نالها إبراهيم عليه السلام من ربه، ومع أنه قاوم الشرك وكسر الأصنام بيده، وتعرض لأشد الأذى في سبيل ذلك حتى ألقي في النار، مع ذلك خاف على نفسه من الوقوع في الشرك، لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، والحي لا تؤمن عليه الفتنة.

وفي الحديث أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأصحابه: "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لأبي بكر وعمر ولسادات المهاجرين والأنصار، الذين بلغوا القمّة في التّوحيد والإيمان والجهاد في سبيل الله، ومع هذا الرسول يخاف عليهم، فمن يأمن بعد هؤلاء؟: "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"، فسئل عنه فقال: "الرياء" هذا دليل على اهتمام الصحابة في الأمر، والرياء معناه: أن الإنسان يتصنّع أمام الناس بالتقوى، والعمل الصالح، وإتقان الصلاة، وغير ذلك، من أجل أن يمدحوه، فالرياء من الرؤية والسُّمعة أن يحب الإنسان أن الناس يسمعون كلامه ويسمعون عمله ويمدحونه، فالرياء لما يُرى من الأعمال، والسُّمعة لما يسمع منها.

والرياء شرك خفي، لأن الشرك على نوعين: شرك ظاهر وشرك خفي، الشرك الظاهر: الذي يتمثل في الأعمال والأقوال, والشرك خفي لا يدري عنه الناس، لأنه في القلب، لا يعلمه إلاَّ الله سبحانه وتعالى، وهو الشرك في النيّة والإرادة، فالإنسان إذا سَلِم من الشرك الأكبر فإنه قد لا يسلم من الشرك الأصغر الذي يكون في القلوب، وهذا مما يُعطي المؤمن الحذر الشديد,والرياء من صفات المنافقين.

فهذا الحديث فيه الخوف من الشرك، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خافه على سادات المهاجرين والأنصار، وعلى أفضل هذه الأمة، فكيف بمن دونهم. وفيه دليل على وجوب إخلاص النية لله عزّ وجلّ، وان الإنسان لا يقصد مدح الناس أو ثناء الناس أو مطامع دنيا بأعماله الصالحة، وإنما يخلص النيّة لله عزّ وجلّ، يريد وجه الله. قال: "وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "من مات وهو يشرك بالله شيئاً دخل النار" هذا خبر من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ من مات على الشرك فهو من أهل النار، ولا يُغفر له. ولاحظوا كلمة "شيئاً" تعم الشرك كله. فهذا فيه الخوف من الشرك، وأن الإنسان قد يُختم له بالشرك فيكون من أهل النار، ولو كان من أهل التّوحيد قبل ذلك. قال: "ولمسلم عن جابر أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة" هذا فيه فضل التّوحيد، وأن من مات عليه دخل الجنة، وهذا وعد من الله سبحانه وتعالى، والله لا يخلف وعده، حتى ولو كان عنده ذنوب ومعاص دون الشرك، فقد يغفرها الله له ويدخله الجنة من غير عذاب، وقد يعذبه الله بها ثم يدخله الجنة، فمآل الموحّد إلى الجنة، إما ابتداءً وإما في النهاية. "ومن لقيه يُشرك به شيئاً دخل النار"فهذا فيه الحذر من سوء الخاتمة. وفي نصوص الباب أن الإنسان لا يغتر بنفسه مهما بلغ من العلم والإيمان والمعرفة، بل يعترف بعجزه وفقره إلى الله سبحانه وتعالى، وأنه إن لم يعصمه الله فإنه على خطر.

* **باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوها** :3

وقوله رحمه الله تعالى: "بابٌ من الشرك" أي: من أنواع الشرك، "لبس الحلْقة والخيط ونحوهما" مما يعلّق على البدن أو على الدابة، أو على السيارة أو على الأبواب من الأشياء التي يعتقدون فيها أنها تدفع عين الحاسد، وأنّها تحرس البدن وغير ذالك, وهذه عادة جاهلية لا تزال في بعض الناس إلى اليوم، بل تتزايد بسبب الجهل،هذا من الشرك لأنه تعلق على غير الله سبحانه وتعالى، لأن الله جل وعلا وهو الذي يدفع الشر، وهو الذي إذا أراد بعبده شيئاً فلابد أن يقع إما في نفسه أو في ماله أو في أهله، فلا أحد يدفعه، وإذا منع شيئاً فلا أحد ينزله, فيجب أن تتعلق القلوب بالله عزّ وجلّ، وأن تُخلص العبادة لله عزّ وجلّ، وأن لا يخاف إلاَّ من الله عزّ وجلّ، فمن تعلّق قلبه بالله ووحّد الله، فإنه لا يضره شيء إلاَّ بإذن الله سبحانه وتعالى، أما من تعلّق على غير الله، فإن الله يَكِلُه إلى ما تعلق عليه، ويبتليه. قال: "وقول الله تعالى: {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ} ، تتمة الآية: {أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} ".هذه الآية من سورة الزمر، السورة العظيمة التي قرّر الله فيها التّوحيد، وأبطل فيها أنواع الشرك، فالسورة من أولها إلى آخرها تعالج قضية العقيدة، وتعالج قضية أنواع الشرك التي كان المشركون يزاولونها، فأبطلتها هذه السورة ونقضتها. {هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ} "؟، سؤال استنكار ونفي، أي. لا تكشف الضر عمن دعاها. ولذلك المشركون يمرضون، ويُقتلون، ويُصابون، وتذهب أموالهم، ولا تستطيع معبوداتهم أن تدفع عنهم شيئاً نزل من الله سبحانه وتعالى. والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لهم هذا وتلا عليهم القرآن، وسألهم هذا السؤال، وأعلنه على رؤوس الأشهاد، ولم يُجيبوه، ولن يجيبوه إلى أن تقوم الساعة. " {قُلْ حَسْبِيَ اللهُ} " أي: هو كافيني، لأن الحَسْب معناه: الكافي، فهذا فيه تفويض الأمور إلى الله سبحانه وتعالى، وتعليق القلوب بالله سبحانه وتعالى دون ما سواه، لما أبطل الشوك في أول الآية قرّر التّوحيد. فالأمور كلها مرجعها إلى الله سبحانه وتعالى، فهو الذي يستحق أن يُعبد، وأن يُتوكّل عليه، وأن يُدعى، ويُرجى، ويُخاف سبحانه وتعالى."عنعمران بن حُصين" أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى رجلاً" وفي يده حلقة" الحلْقة هي: الشيء المستدير الذي يُدار على العضد، أو على الذِّراع، أو على الأصبع "من صُفر" الصفر نوع من المعدن معروف.  
"فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما هذا؟ " " الظاهر أنه سؤال إنكار، وقيل: إنه سؤال استفهام، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأله عن قصده في هذه الحلقة.  
ففيه دليل على وجوب إنكار المنكر، وفيه دليل على أن الإنسان لا ينكر شيئاً حتى يعرف مقصود صاحبه إذا كان الشيء محتمِلاً، فإن كان مقصود صاحبه شرًّا فإنه ينكره. قال: من الواهنة" يعني: لبستها من أجل دفع الواهنة، لتقيني منها، والواهنة مرض يصيب اليد, فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "انزعها" النزع معناه: الرفع بشدّة، أي: ارفعها مسرعاً بنزعها ونشيطاً في رفعها لا تتوانى، في تركها على جسمك، لأنها مظهر شرك- والعياذ بالله- ففيه المبادرة بإزالة مظاهر الشرك، وأن الإنسان لا يتوانى في تركه. ثم علّل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما في بقائها عليه من الضرر، قال: "فإنها لا تزيدك إلاَّ وهناً" إلا ضعفاً، فالوهن معناها: الضعف والمرض. فيه دليل على أن لبس هذه الأشياء فمن الحلْقة ونحوها بقصد دفع الضرر أنه يسبّب عكس المقصود.

"فإنك لو متّ وهي عليك ما أفلحت أبداً" أي: لو مات ولم يتب منها ما أفلح أبداً.

فهذا فيه دليل على أن الشرك لا يُغفر حتى ولو كان شركاً أصغر، يُعذّب به، وإن كان لا يعذّب تعذيب المشرك الشرك الأكبر؛ فلا يخلّد في النار، لكن يعذّب بها بقدره.

قال الشيخ رحمه الله في مسائله: "فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر"، فالشرك الأصغر أكبر من الكبائر، لأن المعاصي وإن كانت كبائر إذا لم تكن شركاً، فلا تخل بالعقيدة وأما الشرك الأصغر فإنه يخلّ بالعقيدة، وأيضاً لا يُغفر على الصحيح، والمعاصي الكبائر التي دونه مظِنّة المغفرة.

قوله: "من تَعَلَّق" أي: من علّق هذا الشيء على جسمه، أو علّق قلبه به، واعتقد فيه أنه ينفعه أو يضره من دون الله عزّ وجلّ. "تميمية" التَمِيمَة: خرزات تعلّق على الأولاد يتّقون بها العين، وكذلك ما شابهها من كل ما يُعلّق من الخرزات وغيرها من الحُرُوز والحُجُب،فهذا ليس بخاص بالخرز. وقوله: "فلا أتم الله له" هذا دعاء من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن الله لا يتمّ له أموره، ويعكس مقصوده عليه؛ والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجاب الدعوة. "فلا أتمّ الله له" يعني: لا أتم الله له أمره ومقصوده، بل أصابه بعكس ما يريد من الضرر والشر والخوف والقلق، ولهذا تجدون من يعلِّقون هذه الأشياء من أكثر الناس خوفاً وهمًّا وحزناً وضعفاً وخوراً، بعكس الموحّدين المعتمدين على الله، فتجدونهم أقوى الناس عزيمة وأقوى الناس عملاً، وتجدونهم لأن أيضاً- في أمن واستقرار وانشراح الصدور، لأنهم يؤمنون بالله عزّ وجلّ وحده، ويعلّقون آمالهم بالله عزّ وجلّ، والله يكفيهم. وقوله: "ومن تعلق وَدْعَة؛ فلا وَدَع الله له" الوَدْع: شيء يُستخرج من البحر، يشبه الصّدف. "فلا وَدَعَ الله له" أي: لا تركه في دَعَة وسُكُون وراحة، بل سلّط عليه الهموم والأحزان والوساوس والأعداء حتى يُصبح في قلق وهمّ وغمّ دائم، وهذا دعاء من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وفي رواية "من تعلّق تَمِيمَة؛ فقد أشرك" هذه فيها زيادة على دعاء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه بأنه قد أشرك، فهذا تصيبه مصيبتان: مصيبة دعوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه، والمصيبة الثانية في عقيدته، وهي أنه قد أشرك بالله عزّ وجلّ, إن كان يرى أنها تقيه من دون الله فهذا شرك أكبر. وإن كان يعتقد أنها سبب فقط والواقي هو الله سبحانه وتعالى فهذا شرك أصغر لأن الله لم يجعل هذه الأشياء سبباً. عن حذيفة: أنه رأى رجلاُ في يدّه خيط من الحُمّى" يعني: اتخذه أن يقيه من الحُمّى، والحُمّى: ارتفاع الحرارة في الجسم. فحذيفة بن اليمان رضي الله عنه قطع هذا الخيط من هذا الرجل، فهذا فيه إزالة المنكر قوله: "وتلا قوله تعالى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106) }. فدلّ على أن الشرك قد يقع ويكثر وقوعه حتى من أهل الإيمان ، فالشرك الأصغر قد يصدر من المؤمن، كما قد يصدر منه النفاق لا العملي، ويصدر منه الرياء. أما إذا كان القصد الاعتماد عليه فإنه يكون من الشرك الأكبر المنافي للإيمان، فالشرك الأصغر ينقّص الإيمان، وينقّص التّوحيد، أما الشرك الأكبر فإنه ينافي الإيمان وينافي التّوحيد. فإن الإنسان لا يأمنه على نفسه، ويستعيذ بالله من الشرك الأكبر والأصغر ويقول: "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم".

* **باب ما جاء في الرقى والتمائم :**4

قوله: "عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه""أنه كان مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أسفاره"فأرسل رسولاً""أن لا يبقيّن في رقبة بعير قلادة"كانوا في الجاهلية يعلّقون القلائد على رقاب الإبل، يعتقدون أن ذلك يدفع عنها العين والضرر، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يزيل هذه العادة الجاهلية، ويقرر التّوحيد. والقلادة ما أحاط بالعنق.  
والـ "وَتَر" -بفتح الواو- المراد به: وَتَر القوس، وكانوا في الجاهلية إذا اخْلَقَّ الوَتَر أخذوه وعلّقوه على رقاب الدواب، وأبدلوه بوَتَر جديد، يعتقدون أن هذا الوَتَر القديم الذي استعمل ورُمي به أنه يدفع العين عن الإبل. فيه دليل على منع هذا الشيء من أي نوع كان، سواء كان من وَتَر أو من غيره، ما دام أن المقصود منه عقيدة فاسدة، حتى ولو كان من السُّيور، أو من الخيوط، أو من الخرز، أو من غير ذلك، كل قلادة يُقصد بها هذا المقصد الشركي فهي ممنوعة.أما القلائد التي لا يُقصد منها مقصد شركي، مثل قلاد الهَدْي الذي يُهدى للبيت العتيق؛ فلا حرج فيها."إلاّ قُطِعت" هذا فيه إزالة المنكر، ولاسيّما إذا كان هذا المنكر في العقيدة، فإن إزالته متأكِّدة. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "إن الرُّقى والتّمائم والتِّوَلَة شرك"سبب ذكر عبد الله بن مسعود لهذا الحديث: أنه رأى على امرأته زينب رضي الله عنها خيطاً في عنقها، وقال: لأنتم يا آل عبد الله أغنياء عن الشرك، قالت: إن عيني كانت تَطْرف، فأذهب إلى فلان اليهودي فيرقاها فتكف، قال رضي الله عنه: إنما ذلك شيطان يَنْخَسُها بكفه، فإذا رُقي كفّ، ثم قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "إن الرُّقى والتّمائم والتوَلَة شرك".فهو لما قطع هذا الخيط، وأنكر على زوجته هذا الفعل؛ ذكر الدليل من سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "وعن عبد الله بن عُكيم مرفوعاً""من تعلّق شيئاً وُكِل إليه" "من تعلّق شيئاً" سواءً قلادة، أو تَمِيمَة، أو حِرْزاً من الحُرُوز، أو خيطاً، أو حلقة، يعني: علّق قلبه بشيء أيّ شيء، يظن أنه ينفع ويضر، "وُكِل إليه" وَكَلَه الله إلى ما تعلق به. وهذه عقوبة من الله سبحانه وتعالى، وإهانة له من الله سبحانه وتعالى، لأن الله إذا تخلّى عنه وَوَكَلَه إلى غيره هلك. أما من توكّل على الله عزّ وجلّ وحده فإن الله سبحانه وتعالى يتولى أمره. فقوله: "من تعلّق شيئاً وُكِل إليه" قاعدة عامة، تعمّ كل شيء يعلّق الإنسان قلبه به من دون الله عزّ وجلّ؟ من بشر، أو حجر، أو شجر، أو قبر، أو حلْقة، أو خيط، أو تَمِيمَة، أو غير ذلك، أو جن، أو إنس, ففي هذا وجوب التوكّل على الله، والنهي عن الاعتماد على غير الله في جلب خير أو دفع ضُر، "التّمائم شيء يعلِّقونه على الأولاد يتّقون به العين" ثم قال مفصِّلاً الحكم في هذا: "لكن إذا كان هذا المعلَّق من القرآن؛ فقد رخّص فيه بعض السلف"وبعض الصحابة، "لم يرخِّص فيه " حتى لو كان من القرآن، هذا اختلاف السلف في تعليق التّمائم من القرآن، فقد اختلفوا في هذا على قولين: منهم من أجاز، نظراً لأن هذا من القرآن، وهو كلام الله سبحانه وتعالى، والتداوي بكتاب الله والاستشفاء بكتاب الله مشروع، ومنهم من منع هذا ولم يرخِّص فيه لعموم النهي عن التمائم. والصحيح: الرأي الثاني وهو المنع،وذلك لثلاثة أمور:

الأمر الأول: عموم النهي، ولم يَرِد دليل يخصّص ذلك.

الأمر الثاني: سدّ الوسيلة المُفضية إلى الشرك، لأننا إذا أجزنا تعليق القرآن انفتح الباب لتعليق غيره.

الأمر الثالث: أن تعليق القرآن يعرِّضه للامتهان.

والذين أجازوا- وهم أصحاب الرأي الأول- اشترطوا ثلاثة شروط:  
الشرط الأول: أن تكون التَمِيمَة من القرآن.  
الشرط الثاني: أن تكون مكتوبة باللفظ العربي،   
الشرط الثالث: أن يعتقد أن الشفاء من الله لا من هذه التَمِيمَة، وإنما هذه التَمِيمَة سبب فقط.  
قال الشيخ: "والرُّقى: هي التي تُسمى العزائم" الرُّقى: جمع رقية، والرُّقْيَة: القراءة على المريض. ويسميها العوام العزيمة.قال الشيخ: "وخصّ منها الدليل ما خلا من الشرك" أي: استثناه من التحريم. وقوله: "فقد رخص فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العين والحمة" الرُخصة عند الأصوليين: ما ثبت على خلاف دليل شرعي لمعارض راجح، فالشيء المستثنى من الممنوع بدليل يسمى: رُخصة،وكذلك الرقية في القرآن استثنيت من الرقى الممنوعة بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إن الرقى والتمائم والتولة شرك"، فهي رخصة. "قوله:"والتِّوَلَة""شيء يصنعونه، يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته" "يزعمون" أي: يكذبون،.  
" أنه يحبِّب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته" هذا يسمونه: الصّرف والعطف، وهو سحر، قال ، فهو سحر يفرِّق ويَجْمع، لأنه عمل شيطاني، يعمل أشياء تنفِّر الإنسان من الإنسان، أو الرجل من زوجته، أو الزوجة من زوجها، وهو من عمل الشياطين. قوله: "وروى أحمد عن رويفع".قال: "لعل الحياة ستطول بك" هذا إخبار من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن رُوَيْفِعاً يعمّر، وقد عُمّر، ففيه: عَلَم من أعلام النبوة، وهو الإخبار عن شيء مستقبَل، ويقع كما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا مما أطلعه الله تعالى عليه."فأخبر الناس" هذا فيه دليل على تبليغ العلم، ونشر العقيدة، والدعوة إليها وإنكار الشرك. "أو تقلد وَتَراً" يعني: جعل الوَتَر قلادة عليه، أو على دابته، أو على ولده من أجل أن يتّقي به العين والضرر، كما كانت الجاهلية تفعل وهذا محل الشاهد في الحديث. فإن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بريء منه" وهذا وعيد شديد يدل على تحريم هذا الفعل، قوله: "عن سعيد بن جبير قال: من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة " والمناسبة أن اعتاق العبد فيه اعتاق من الرِّق، وقطع التَمِيمَة فيه إعتاق من الشرك، لأن الشرك رِقّ للشيطان بدل الرِّق للرحمن. فعبادة الله جل وعلا هي الحرية الصحيحة، ليست الحرية أن الإنسان يشرك ويكفر ويعتقد ما شاء، كما يقولون: الناس أحرار في اعتقادهم لا بل الناس خلقوا لعبادة الله. قال: "وعن إبراهيم" "يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن" أي: كان كبار التابعين من أصحاب ابن مسعود لا يفصِّلون في التّمائم، بل كانوا يكرهونها عموماً، كما سبق أن الراجح هو: تحريم تعليق التّمائم، ولو كانت من القرآن؛ وقوله: "يكرهون" أي يحرمون، لأن الكراهة عند السلف يريدون بها التحريم . فكلام إبراهيم هذا يؤيّد ترجيح المنع مطلقاً،وفي هذا دليل على بعد السلف عما يخدش العقيدة.

* **باب ما جاء في الذبح لغير الله :5**

**قال: "وقول الله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لا شَرِيكَ لَهُ}ختم الله هذه السورة العظيمة بهذه الآيات، لأن السورة تدور كلها على التّوحيد وبيان الشرك،فقوله تعالى: " {قُلْ} " هذا أمر من الله جل وعلا لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُعلن للناس، ليس لناس وقته فقط، بل للناس جميعاً إلى أن تقوم الساعة، وليس لناس بلده، بل لناس العالم: {إنَّ صَلاتِي} " الصلاة في الشرع يُراد بها: العبادة المبتدئة بالتكبير المختتمة بالتسليم،{وَنُسُكِي} " النُّسُك المُراد به: ما يذبح من بهيمة الأنعام على وجه التقرّب والعبادة، كهَدْي التمتُّع والقِران، وهَدْي التطوُّع، وهَدْي الجُبران، والأضاحي، والعقيقة، هذه كلها تُسمى نُسُكاً، فما ذُبح من بهيمة الأنعام على وجه التقرّب إلى الله تعالى بذبحه، فهو النُّسُك.  
وكان الذبح على وجه التقرُّب موجوداً في الجاهلية، كانوا يذبحون للأصنام، ويذبحون للجن، ويذبحون للكواكب، يذبحون لغير الله عزّ وجلّ،فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيّن أن دينه مخالف لدين المشركين، فالمشركون يذبحون لغير الله، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومَن اتبعه يذبحون لله وحده لا شريك له، كما أنهم لا يصلُّون إلاَّ لله فكذلك لا يذبحون إلاَّ لله سبحانه وتعالى، وقَرْن النُّسُك بالصلاة يدلّ على أنه عبادة عظيمة، لا يجوز صرفها لغير الله، والنسك قد تساهل فيه كثير من الناس فصاروا يذبحون للجن طاعة للمُشَعْوِذِين من أجل العلاج بزعمهم.  
" {وَمَحْيَايَ} ": ما أحيا عليه في عمري من العبادة كله لله عزّ وجلّ.  
" {وَمَمَاتِي} ": ما أموت عليه- أيضاً- لله عزّ وجلّ، فيموت على التّوحيد،" {رَبِّ الْعَالَمِينَ} " الرب هو: المالك، والعالمين جمع عالَم، وهو: ما سوى الله عزّ وجلّ من المخلوقات، أما هذه الأصنام وهذه الأوثان، فلا تستحق العبادة لأنها مملوكة لله سبحانه وتعالى، ومعبدة لله سبحانه وتعالى، وذكر عبادتين عظيمتين: الصلاة والنُّسُك، لأن الصلاة عبادة بدنيّة، والنُّسُك عبادة ماليّة، وهي من أفضل العبادات المالية.**

**قال: " {وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ} " أمرني ربي سبحانه وتعالى، فدلّ على أن العبادات توقيفيّة، لا يصلح منها شيء إلاَّ بأمر الله سبحانه وتعالى.**

**ثم قال: " {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} " أي: من هذه الأمة، فالأوليّة هنا نِسْبِيَّة، وإلاَّ فالرسل والمؤمنون من قبل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم مسلمون، بمعنى أنهم مخلصون العبادة لله عزّ وجلّ.**

**والإسلام هو الاستسلام لله بالتّوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله، هذا هو الإسلام، وهذا دين جميع الرسل- عليهم الصلاة والسلام، فقوله: " {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} " أي: من هذه الأمة.**

قال: "وقوله: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) } " هذا أمر من الله لنبيه أن يُخلص الصلاة لله عزّ وجلّ، وأن يخلص النحر- وهو: الذبح- لله عزّ وجلّ.

قالوا: وهذا شكر لله سبحانه وتعالى لما أعطاه الكوثر،والكوثر نهر في الجنة، وقيل: هو الخير الكثير. الشاهد من الآية: {إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي} ، ومن الآية: " {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) } ": أن الله جل وعلا قَرَن النحر بالصلاة في الآيتين، فدلّ على أنه عبادة لا يجوز صرفها لغير الله. وقوله: "لعن الله" اللعن معناه: الطرد والإبعاد عن رحمة الله سبحانه وتعالى. "من ذبح لغير الله" أي: تقرَّب بالذبح لغير الله من الأصنام، ومن الأضرحة، ومن الأشجار والأحجار، والجن، وغير ذلك. فكل من تقرَّب بالذبح إلى غير الله فإنه قد لعنه الله سبحانه وتعالى، وهذا يدلّ على شدّة هذه الجريمة، فإن الله جل وعلا لا يلعنإلا على جريمة خطيرة، فدلّ على شدة جريمة من ذبح لغير الله، أيًّا كان هذا الذبح كثيراً أو قليلاً جليلاً أو حقيراً.

أن قوله سبحانه: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي} وقوله: " {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) } " وقول الرسول: "لعن الله من ذبح لغير الله" يشمل كل هذه الأمور:

1- ما ذُبح للأصنام تقرّباً إليها.

2- ما ذُبح للحم وذكر عليه اسم غير الله سبحانه وتعالى.

3- ما ذُبح تعظيماً لمخلوق وتحيّة له عند نزوله ووصوله إلى المكان الذي تستقبل فيه.

4- ما ذُبح عند انحباس المطر في مكان معين أو عند قبر لأجل نزول المطر.

5- ما يُذبح عند نزول البيوت خوفاً من الجن أن تصيبه، كل هذا يدخل في الذبح لغير الله، ويكون شركاً بالله سبحانه وتعالى. **"وعن طارق بن شهاب""دخل الجنة رجل في ذباب""قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: "مرّ رجلان على قوم " يعني: من الأمم السابقة.** "لهم صنم" الصنم هو: ما كان على صورة حيوان، أما ما عُبد وهو على غير صورة حيوان، كالشجر والحجر والقبر فهذا يسمى وثناً، فالوثن أعم من الصنم، لأن الصنم لا يُطلق إلاَّ على التِّمثال، وأما الوثن فيُطلق على التِّمثال وغيره، حتى القبر وثن إذا عُبد، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد"، فالوثن كل ما عُبد من دون الله على أي شكل كان. "فقال لأحدهما: قرّب، قال: ليس عندي شيء أقرِّبه"والقصد أنه ما استنكر هذا الشيء، ولا تمنع منه، وإنما اعتذر بعدم وجود شيء فلذلك دخل النار- والعياذ بالله.

"وقالوا للآخر: قرِّب. فقال: ما كنت لأقرِّب لأحد شيئاً دون الله عزّ وجلّ" امتنع وأنكر الشرك، "فضربوا عنقه" يعني: قتلوه، "فدخل الجنة" بسبب التّوحيد.

فهذا الحديث حديث عظيم، فيه مسائل عظيمة:

المسألة الأولى: هذا الحديث فيه جواز الإخبار عن الأمم السابقة، والتحدّث عنها بما ثبت لأجل العظة والعبرة.

المسألة الثانية: في الحديث دليل على تحريم الذبح لغير الله، ومن ذبح لغير الله فقد أشرك، لأن هذا الرجل الذي ذبح الذباب دخل النار، وحتى لو كان المذبوح شيئاً تافهاً، والرجل الثاني عظّم الشرك، وتجنبه ولو كان شيئاً حقيراً، فدخل الجنة.

المسألة الثالثة: كما قال الشيخ رحمه الله في مسائله: أن المدار على أعمال القلوب، وإن كان الشيء الظاهر تافهاً، لكن المدار على عمل القلب.

المسألة الرابعة: فيه دليل- كما قال الشيخ رحمه الله- على قُرب الجنة والنار من الإنسان، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الجنة أقرب إلى أحدكم من شِراك نعله، والنار مثل ذلك"

المسألة الخامسة: أن هذا الرجل الذي ذبح الذباب كان مؤمناً، فدخل النار بذبحه الذباب، لأنه لو كان كافراً لدخل النار بكفره، لا بذبح الذباب، فدلّ على أن الشرك الأكبر يخرج من الملة ولو كان شيئاً يسيراً، فأمور التّوحيد وأمور العقيدة لا يُتسامح فيها.

باب من الشرك النذر لغير الله :

النذر : التزام مكلف فعل طاعة لم تجب عليه بأصل الشرع ، وهذا منهي عنه ؛ لما فيه من إحراج الإنسان لنفسه ، وتحميلها شيئا قد يشق عليها ، وإذا كان كذلك فهو من أنواع العبادة .

فمن صرف شيئا من هذه الأنواع لغير الله صار مشركا الشرك الأكبر الذي يخرجه من الملة .

النذر لغير الله من الجن ، أو الأولياء والصالحين ، أو أصحاب القبور ، وهذا عبادة لغير الله فهو شرك وهذا واقع في هذه الأمة بكثرة .

وقد يفعلون هذا ويحصل لهم مقصودهم ابتلاء وامتحانا من الله سبحانه وتعالى أو أن هذا يصادف قضاء وقدرا فيحصل ، ويظنوا أنه بسبب النذر لهذا الميت أو لهذا القبر أو هذا الولي بزعمهم وحصول المقصود لا يدل على جواز الفعل ، فيجب أن يتنبه لهذه الشبهة .

والنذر على قسمين : نذر طاعة ، ونذر معصية .

فنذر الطاعة مثل : الاعتكاف في المسجد الحرام وهو في الأصل غير واجب ، لكن لما نذره وجب عليه بنذره ، هذا مدح لهم ، بعد أن ينذروا ، ليس مدحا للدخول في النذر ، وإنما هو مدح للوفاء به بعد لزومه ونذر الطاعة دين في ذمة المسلم ؛ يجب عليه الوفاء به ، ومن هنا مدحهم الله . ( يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ) فوجه الاستدلال من الآية الكريمة على أن النذر لغير الله شرك : لأﻧﻬا دلت على أن النذر عبادة ؛ لأن الله مدح الموفين به ، وإذا كان عبادة فصرفه لغير الله شرك وفي الآية الثانية من سورة البقرة قوله تعالى : ( وما أنفقتم من شيء فإن الله يعلمه ) .

ووجه الاستدلال من الآية الكريمة من وجهين :

الوجه الأول : أن الله قرن النذر بالنفقة ، والنفقة في سبيل الله طاعة ، فدل على أن النذر طاعة .

الوجه الثاني : قوله تعالى : ( فإن الله يعلمه ) وهذا من باب الحث على النفقة ، وعلى الوفاء بالنذر ؛ فدل على أنه طاعة ، وإذا كان النذر طاعة ، فإن صرفه لغير الله شرك . هذا وجه استدلال المصنف رحمه الله .

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها وقد روت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ) من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه ) الحديث صريح في أن النذر يكون طاعة ، وإذا كان طاعة فهو عبادة ، وإذا كان عبادة ، فصرفه لغير الله شرك أكبر .

من نذر أن يطيع الله بصلاة ، بصيام ، بحج ، بعمرة أو بغير ذلك من أنواع الطاعات . فليطعه بفعل هذا النذر .

ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه كأن نذر أن يقطع رحمه ، فإنه لا يجوز له الوفاء ﺑﻬذا النذر ؛ لأنه معصية لله . ومن ذلك بل أولى إذا نذر للقبور ؛ لأن النذر للقبور شرك هو من أعظم المعاصي ، فلا يجوز له الوفاء به .

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله :

وهو نوع من أنواع العبادة ، لأن دفع الضرر ، ودفع الشرور لا يقدر عليه إلا الله فكل ما لا يقدر عليه إلا الله فإنه لا يطلب إلا من الله ، فإن طلب من غيره كان ذلك شركا ، هذا وجه كون الاستعاذة بغير الله من الشرك ؛ لأن الاستعاذة عبادة ، وصرف العبادة لغير الله شرك ، لماذا كانت عبادة ؟ لأﻧﻬا طلب دفع الضرر الذي لا يقدر على دفعه إلا الله ، وطلب ما لا يقدر عليه إلا الله من غير الله شرك ، ولأن الله أمر بالاستعاذة به دون غيره . وقوله تعالى : ( وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ) الجن المراد ﺑﻬم : عالم من عالم الغيب ، يعيشون معنا في هذه الأرض ، وهم مكلفون ، مأمورون بطاعة الله ، ومنهيون عن معصية الله ، مثل الإنس ، لكننا لا نراهم ، وقد يتصورون بصور متشكلة ، ويتصورون بصور حيات ، وبصور حيوانات أعطاهم الله القدرة على ذلك ، وهم عالم مخلوق من نار ، والإنس خلقوا من الطين ، الجان : جمع جني ، سموا بالجن لاجتناﻧﻬم أي : استتارهم عن الأنظار .

والإيمان بوجودهم من الإيمان بالغيب ، تصديقا لخبر الله وخبر رسوله فوجود الجن ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ، ومن جحد وجود الجن فهو كافر ؛ لأنه مكذب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين ، لكن من جهلة الناس من ينكر صرع الجن للإنس ، وهذا لا يكفر ؛ لأن هذه مسألة خفية ، ولكنه يخطأ .

( وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن ) أي : يلتجئون إليهم ليدفعوا عنهم الشرور . رهقا أي : خوفا ، فالجن تسلطوا على الإنس لما رأوهم يعوذون ﺑﻬم ، وزادوهم خوفا وقلقا .

**وسبب نزول هذه الآية :** أن العرب كانوا في الجاهلية إذا نزلوا مترلا قال أحدهم :أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه ، فأنزل الله هذه الآية .

فهذه عقيدة جاهلية ، أبطلها الله -سبحانه وتعالى بالأمر بالاستعاذة به وحده لا شريك له ، وذلك في قوله : عن خولة بنت حكيم -رضي الله تعالى عنها- أن رسول صلى الله عليه وسلم قال : ( من نزل مترلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من مترله ذلك ) هذه هي الاستعاذة الشرعية البديلة من الاستعاذة الشركية

فقوله : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق كلمات الله : المراد ﺑﻬا : كلامه سبحانه وتعالى المترل على رسوله صلى الله عليه وسلم والاستعاذة بالقرآن مشروعة ؛ لأن القرآن كلام الله ، فالاستعاذة بالقرآن استعاذة بصفة من صفات الله ، وهي الكلام ، وليست استعاذة بمخلوق .

واستدل أهل السنة والجماعة ﺑﻬذا الحديث على أن القرآن غير مخلوق ؛ لأنه لا تجوز الاستعاذة بالمخلوق ، فلو كان القرآن مخلوقا كما تقوله الجهمية والمعتزلة لصار هذا من الاستعاذة بالمخلوق ، وهي شرك . كما دل هذا الحديث على مشروعية الاستعاذة بالله وترك الاستعاذة بغيره سبحانه وتعالى .

وفي قوله تعالى : ( ويوم يحشرهم جميعا يمعشر الجن والانش قد استكثرتم م الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمته بعضنا ببعض ) قال العلماء في تفسير هذه الآية : ( استمتاع الإنس بالجن : أﻧﻬم يستعيذون ﺑﻬم مما يكرهون ، ويطلبون منهم ما يريدون ، فالجن تخدمهم ، وتحضر لهم الغائب والبعيد ، وتقضي بعض حوائجهم ؛ لأن هناك أشياء لا يقدر عليها الإنس ، فهم يستعيذون بالجن ، ويستمتعون بالجن ؛ بمعنى : أن الإنس يستخدمون الجن في بعض أمورهم ، هذا استمتاع الإنس بالجن . واستمتاع الجن بالإنس : أن الإنس يخضعون لهم ويعظموﻧﻬم ويجلوﻧﻬم ، ففي هذا استمتاع للجن بالإنس ، فكل من الفريقين استمتع بالآخر ، هذا استمتع بحصول حوائجه ، وهذا استمتع بتعظيمه ، وصرفه هذا الإنسي إلى الكفر بدل الإيمان ) . فدل على أن الاستعانة بالجن شرك أكبر ، ولو سميت بغير الشرك ، لو سميت : بالاستخدام ، أو الزار ، أو ما أشبه ذلك من الأسماء .

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره :

فقوله : من الشرك أي : من أنواع الشرك الأكبر : أن يستغيث بغير الله فيما ، لا يقدر عليه إلا الله . / والاستغاثة : طلب الغوث ، ولا تكون إلا في وقت الشدة . / وأما الدعاء فهو عام في وقت الشدة وفي غيرها ، فعطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

والاستغاثة بالمخلوق على قسمين :

القسم الأول : الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذه هي الشرك الأكبر ؛ لأﻧﻬا صرف للعبادة لغير الله .

أما الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه المخلوق كاستغاثة الإنسان بغيره في الحرب ليساعده ويناصره على عدوه ؛ فهذا جائز ، أما الدعاء ، فهو أعم من الاستغاثة -كما سبق- وهو نوعان : دعاء عبادة ، ودعاء مسألة .

ودعاء العبادة هو : الثناء على الله -سبحانه وتعالى- بأسمائه وصفاته .

ودعاء المسألة هو : طلب الحاجات من الله سبحانه وتعالى . ويجتمع النوعان في سورة الفاتحة.

وقول الله تعالى : ( ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك من الظالمين) والاية التي تليها ( وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ) . هذا ﻧﻬي من الله لنبيه عن دعاء غير الله ، والخطاب الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم موجه إلى أمته ، إلا إذا دل دليل على اختصاصه به ، فهذا النداء له ولأمته ، ولأنه إذا ﻧﻬي النبي صلى الله عليه وسلم

عن ذلك ، فغيره من باب أولى . وذلك لأن المدعو إما أن يطلب منه جلب خير ، وإما أن يطلب منه دفع ضرر ، وهذا إنما يختص بالله فإنه هو الذي يقدر على دفع الضرر وجلب الخير .

فإن فعلت يعني دعوت غير الله مما لا ينفعك ولا يضرك ، وهذا من باب الافتراض ، وإلا محال أن النبي صلى الله عليه وسلم سيفعل ذلك ، ولكن لو قدر أنه فعله وهو أكرم الخلق فإنه يكون من الظالمين ، فكيف بغيره ، إذا دعا غير الله ؟

( من الظالمين ) يعني : من المشركين ؛ لأن الشرك أعظم أنواع الظلم ، والظلم في الأصل : وضع الشيء في غير موضعه ، والشرك وضع للعبادة في غير مستحقها ، فلذلك صار أعظم أنواع الظلم .

فالنفع والضرر إنما هو من الله سبحانه وتعالى فهو الذي يستحق أن يدعى لطلب الخير ، ويدعى أيضا لرفع الشر ، وكشف الضر ، هو الذي يملك ذلك لا تملكه جميع المخلوقات .

وقوله : ( فابتغوا عند الله الرزق ) أي : اطلبوا الرزق من الله فإن الله قريب مجيب لمن دعاه ، ولا تطلبوا الرزق من الأوثان التي لا تملك شيئا . فالرزق إنما يستجلب بعبادة الله وأما المعاصي فإﻧﻬا تسبب منع الرزق ، فما يحصل في الأرض من اﻟﻤﺠاعات ومن شح الأرزاق إنما سببه الكفر والمعاصي ، وما يحصل في الأرض من خيرات وأرزاق فسببه الطاعة والعبادة إلا أن يكون استدراجا . فهذه الآية كالتي قبلها فيها وجوب التوجه إلى الله بالدعاء وطلب الحاجات ، وتفريج الكربات ، وطلب الرزق ، وأن أحدا غيره لا يملك رزقا .

( ومن أضل ( لا أحد أشد ضلالا ، ممن يدعوا من دون الله أي : غير الله .

( من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ) هل الصنم استجاب لأحد في يوم من الأيام ؟ .

وقد ذكر شيخ الإسلام ما معناه أن ما يحصل لعباد القبور من قضاء الحاجات ، فليس ذلك دليلا على صحة مذهبهم ؛ لأن حصول المقصود يكون ابتلاء وامتحانا من الله ويكون من أجل الاستدراج و أنه يمكن أن الشياطين تتصور أحيانا بصورة المقبور ، وتخرج على الناس الذين يدعون القبر بصورة المقبور وتخاطبهم والشيطان قد يأتي لهم بأشياء بعيدة ويظنون أن هذا من الميت .

قوله : ( أمن يجيب المضطر إذا دعاه ) هذا استفهام من الله للمشركين ، يقول : أنتم تشركون بالله في حالة الرخاء ، ولكن إذا وقعتم في الشدة والاضطرار دعوتم الله مخلصين له الدين فأنقذكم ، فلماذا تشركون به في حالة الرخاء ؟ . اذا كان لا ينقذكم من الشدائد إلا الله باعترافكم- فكيف تشركون به في حالة الرخاء ، هل هذا إلا التناقض ؟ .

وفي الآية السابقة فائدة عظيمة وهي : أن الله سمى الدعاء عبادة ، فقال : ( وكانو بعبادتهم كافرين) لأنه في أول الآية قال : ( ومن أضل ممن يدعوا ) واذا كان الدعاء عبادة فصرفه لغير الله شرك ، كما في الآية الأخرى

( وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي ) يعني : عن دعائي ، فسمى الدعاء عبادة ، وإذا كان الدعاء عبادة فصرفه لغير الله شرك .

قوله : ( كان رجل ) منافق : النفاق هو : إظهار الخير وإبطان الشر ، وهو نوعان : نفاق اعتقادي ، ونفاق عملي.

والنفاق الاعتقادي كفر أكبر ، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار ، ومعناه : أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر .

أما النفاق العملي فمعناه : أن بعض المسلمين الذين عقيدﺗﻬم سليمة ومؤمنون بالله ، لكنهم يتصفون ببعض صفات المنافقين ، مثل : الكذب في الحديث ، والغدر في العهد ، وإخلاف الوعد .

( يؤذي المؤمنين ( بمعنى : أنه يضايق المسلمين بكلامه وبتصرفاته .

فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم يعني : نستجير به ، ونحتمي به من هذا المنافق ليردعه عنا ويكفه عنا .

والنبي صلى الله عليه وسلم استنكر هذه اللفظة ، فقال : إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قادر على أن يردع هذا المنافق ، وأن يغيث المسلمين من شره ، بلى ، هذا من الاستغاثة الجائزة ؛ لأنه استغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم فيما يقدر عليه ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم تأدبا مع الله سبحانه وتعالى وتعليما للمسلمين أن يتركوا الألفاظ التي فيها سوء أدب مع الله وإن كانت جائزة في الأصل ، فقال : إنه لا يستغاث بي وهذا من باب التعليم وسد الذرائع لئلا يتطرق من الاستغاثة الجائزة إلى الاستغاثة الممنوعة .

فإذا كان الرسول أنكر الاستغاثة به فيما يقدر عليه ، فكيف بالاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله ؟ وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم منع من الاستغاثة الجائزة به في حياته تأدبا مع الله ، فكيف بالاستغاثة به بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ؟ .

فالواجب علينا منع الشرك ، ومنع وسائله ، وأسبابه ، وأن لا نسمح بالألفاظ الشركية ، ولا بأي شيء يفضي إلى الشرك ، وعلينا أن نحذر من ذلك صيانة للعقيدة ، وحماية للتوحيد ، وإشفاقا على المسلمين من الضلال والكفر والإلحاد فإنه ما حصل هذا الشرك في الأمة ، وما حصل هذا الضلال في الأمة إلا لما تساهل الناس في أمر العقيدة ، وسكت العلماء عن بيان خطر الشرك ، والتحذير من أسباب الشرك .

باب ما جاء في السحر :

السحر نوعا من أنواع الشرك عقد له هذا الباب ؛ لأن السحر لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق الشياطين ، فالسحرة يخضعون للشياطين ، ويستعينون ﺑﻬم في سحرهم ، وهذا شرك بالله عز وجل .

تعريفه في الشرع : فالسحر عبارة عن عزائم ورقى وعقد يؤثر في بدن المسحور بالقتل أو بالمرض ، أو بالإخلال بعقله ، أو يفرق بين الزوجين ، أو يأخذ الزوج عن زوجته فلا يستطيع الوصول إليها .

فالساحر يعقد العقد بالخيط ثم ينفث فيها من ريقه ، ويستعين بالشيطان ، ويؤثر هذا بإذن الله في المسحور إما قتلا ، وإما مرضا ، وإما تفريقا بينه وبين حبيبه ، وإما أن يمنعه عن زوجته فلا يستطيع الوصول إليها .

وقد سحر النبي صلى الله عليه وسلم وأثر فيه السحر ، وصار عليه الصلاة والسلام يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله ، ورقاه جبريل فبرئ بإذن الله .

فالسحر له حقيقة ، ويؤثر في بدن المسحور ، ولكنه لا يؤثر إلا بإذن الله القدري .

**وقد ذكر العلماء أن السحر المحرم على نوعين :**

**سحر حقيقي ،** وهو هذا الذي ذكرنا .

**والنوع الثاني : سحر تخييلي ،** ليس له حقيقة ، وإنما هو خيالي وشعوذة ، وهو ما يسمى بالقمرة ، فالساحر يخيل للناس شيئا وهو ليس حقيقة .

وأنكرت المعتزلة النوع الأول ، مع أن النوع الأول هو الخطير ، وقالوا : السحر كله تخييلي .

وهذا غير صحيح ؛ لأنه لو كان كذلك لما أثر في المسحور ولما قتل المسحور ، ولما أمرضه ، ولما فرق بينه وبين زوجه ، فدل على أنه حقيقي ، وعمل شيطاني ؛ لأنه عقد وعزائم .

والذي ذكر في هذا الباب من النصوص على نوعين :

**النوع الأول :** في حكم السحر . / **والنوع الثاني :** في حكم الساحر .

قال : وقول الله تعالى : ( ولقد علموا ) أي : اليهود ؛ لأن الآية في سياق الآيات التي تتحدث عن اليهود ، أي : تحققوا .

( لمن اشتراه ) أي : استبدل السحر بالتوراة .

( ماله في الأخرة من خلاق ) أي : الساحر ليس له نصيب من الجنة .

هذا دليل على أنه كافر ، فالسحر كفر بالله .

قال المصنف رحمه الله تعالى : وقوله ( يؤمنون بالجبت والطاغوت ) ثم ذكر تفسير الجبت والطاغوت بقوله : " قال عمر : الجبت : السحر " فاليهود يؤمنون بالسحر ، وهو كفر بالله عز وجل .

والطاغوت : الشيطان أي هو رأس الطواغيت ، والطاغوت مشتق من الطغيان ، وهو مجاوزة الحد .

قوله : " وقال جابر : الطواغيت : كهان تترل عليهم الشياطين ، في كل حي منهم واحد " الكاهن هو الذي يدعي علم الغيب .

وكان هؤلاء الكهان تترل عليهم الشياطين التي تسترق السمع ، وكما جاء في الحديث أن مسترق السمع قد يسمع الكلمة من السماء فيلقيها على الكاهن ، فيكذب الكاهن معها مائة كذبة ، فيصدقه الناس بسبب هذه الكلمة التي سمعت من السماء .

فالكاهن هو الذي يخبر الناس عن المغيبات ، بسبب أنه يسأل الشياطين ، وتخبره الشياطين عن الأشياء الغائبة ، والأشياء المسروقة والمفقودة ، فيظنون أن هذا الكاهن يعلم الغيب ، وهو ليس كذلك وإنما أخبرته الشياطين بأشياء غائبة ؛ لأن الشياطين لهم قدرة على الطيران السريع ، والوصول إلى الأمكنة البعيدة ، فيأتون بالأخبار ويخبرون الكهان ، فإذا تقرب إليهم الإنسي بما يريدون من الشرك والذبح لغير الله والسجود لهم ؟ فإﻧﻬم يخدمونه بما يريد ، فيظن الإنس أن هذا الكاهن عنده خبر من الغيب ، وأنه له خاصية ، والحقيقة أن هذا كله من الشيطان ، وكانوا يحكموﻧﻬم في المنازعات والخصومات ، وكان عند كل حي كاهن ؛ يعني : عند كل قبيلة كاهن يحكم بينهم . فلما جاء الإسلام أبطل الله ذلك كله ، فلا يجوز الذهاب إلى الكهان والمشعوذين والدجالين لا للعلاج ، ولا للسؤال عن الأشياء الضائعة ، ولا الأشياء الغائبة ، وهذا كفر بما أنزل الله سبحانه وتعالى ولا يجوز إقرارهم وتركهم ، بل يجب القضاء عليهم لأﻧﻬم دعاة كفر وشرك ، يفسدون العقائد ، ويأكلون أموال الناس بالباطل .

قال : وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله علبه وسلم قال : اجتنبوا أي : ابتعدوا ، ولفظة : " اجتنبوا " أبلغ من : لا تفعلوا ؛ لأن الاجتناب يعني : ترك الشيء وترك الأسباب الموصلة إليه .

" الموبقات " يعني : المهلكات .

" قالوا : يا رسول الله ، وما هن ؟ " سألوه ما هي هذه السبع حتى نتجنبها ؟ لأن الإنسان لا يمكن يتجنب الشيء إلا بعد أن يعرفه . ففي هذا دليل على أنه يجب على المسلم أن يسأل عن الأمور المحرمة ، ويعرف الأمور الشركية ، حتى يتجنبها .

قال : " الشرك بالله " هذا أكبر الكبائر ، وأعظم الموبقات ، وأعظم ذنب عصي الله به .

وما هو الشرك ؟ الشرك هو عبادة غير الله سبحانه وتعالى بأن يصرف له شيئا من العبادة .

ثم قال : والسحر " وهذا محل الشاهد من الحديث ؛ لأن السحر كفر وشرك " بالله وعطفه على الشرك من باب عطف الخاص على العام ، فالسحر نوع من أنواع الشرك .

**أولا :** يستفاد من هذه النصوص تحريم تعلم السحر ، وتعليمه ، والعمل به وأنه من السبع الموبقات ، وأنه من الإيمان بالجبت وأنه كفر يخرج من الملة .

قوله : " عن جندب " ( حد الساحر ضربه بالسيف ) المعنى : أن حكم الساحر وجوب قتله ؛ لأنه يفسد في الأرض ، يجب قتله ، وأيضا هو كافر ، والكافر يجب قتله إن كان كافرا أصليا وجب قتله بكفره وإفساده ، وإن كان مسلما ثم استعمل السحر وجب قتله لردته . / والسحر ناقض من نواقض الإسلام .

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة ، قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه " أن اقتلوا كل ساحر وساحرة " والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : يقول : ( عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ) اذا قتل الساحر دل عليه الحديث ، وفعل عمر بن الخطاب . قال : " فقتلنا ثلاث سواحر " يعني : نفذنا ما كتب به أمير المؤمنين ، وسواحر : جمع ساحرة ، وهي المرأة التي تتعاطى السحر .

قال : " وصح عن حفصة " " أﻧﻬا أمرت بقتل جارية لها " " سحرتها " .

وهذا أيضا فعل صحابية ، وهي أم المؤمنين ، أمرت بقتل مملوكتها لما سحرت .

" قال أحمد " هو أحمد بن حنبل ، إمام أهل السنة .

**ويستفاد من هذه الآثار فوائد عظيمة :**

**الفائدة الأولى :** كفر الساحر ؛ لأن الصحابة قتلوه ، وما قتلوه إلا لكفره ، هذا مع الآيات التي تدل على كفره ما استعمل السحر كما يظن اليهود ، فدل على أن استعمال السحر كفر وأن الله قال في الملكين ( وما يعلمان من أحد حتى ) ينصحاه ( يقولا انما نحن فتنتة فلا تكفر ) يعني : نحن امتحان واختبار ، فمن قبل السحر فهو كافر .

أن الإنسان يتوكل على الله ، ومن توكل على الله كفاه شر السحرة وغيرهم ؛ ولهذا أمر الله بالاستعاذة به من السحرة .

ثم قال تعالى : ( ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ) دل على أن تعلم السحر ضرر محض ، ليس فيه مصلحة ؛ لأن الأمور على خمسة أقسام :

ما كان ضررا محضا : ومنه السحر ، والكفر والمعاصي .

**النوع الثاني :** ما كان مصلحة محضة ، ليس فيه ضرر البتة كالطاعات .

**النوع الثالث :** ما كان فيه مضرة ومصلحة ، لكن مضرته أكثر من مصلحته .

**النوع الرابع :** ما كان مصلحته أكثر من ضرره ، كالجهاد في سبيل الله على ما فيه من القتل والجراح .

**النوع الخامس :** ما تساوى ضرره ومصلحته .

**الموضع الرابع :** مما يدل على كفر الساحر : قوله تعالى ( ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الأخرة من خلاق ) أي : قد علم اليهود أن من تعلم السحر وعلمه ما له نصيب في الجنة ، وهذا هو الكافر .

**والموضع الخامس** : قوله : ( ولو أنهم ءامنوا ) أي : تركوا السحر ، وهذا دليل على أن السحر كفر ينافي الإيمان .

فهذه خمسة مواضع من هذه الآيات تدل على كفر الساحر مع عمل الصحابة وقتلهم للسحرة .

وفي قوله تعالى : ( إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ) دليل على كفر الساحر ، حيث نفي فلاحه ، والمؤمن يفلح ولو كان إيمانه ضعيفا ، ولو لم يكن عنده إلا ذرة من الإيمان فإنه يفلح ، وإن عذب ، والله نفى عن الساحر الفلاح مطلقا ، فدل على أنه كافر ، والعياذ بالله . هذه المسألة الأولى ، وهي مسألة مهمة جدا ، ذكرنا فيها الأدلة التي تدل على كفر الساحر .

**الفائدة الثانية :** في الحديث دليل على وجوب قتل الساحر قتل ردة ؛ لأنه صح عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عمر ، وحفصة ، وجندب ، ولم يظهر لهم مخالف من الصحابة ، فدل على وجوب قتله ؛ لأنه مرتد ، والمرتد يجب قتله لقوله صلى الله عليه وسلم.

**الفائدة الثالثة :** في هذه الآثار دليل على أنه يقتل ولا يستتاب ؛ لأنه لم يذكر في هذه الآثار أن الصحابة استتابوه ، وإنما فيها أﻧﻬم قتلوه ، ولم يذكر أﻧﻬم استتابوه .

وأيضا اذا تاب في الظاهر فعلم السحر لا يزول من قلبه ، فهو وإن أظهر التوبة فإنه يقتل في كل حال ؛ لأن التوبة لا تزيل السحر من قلبه بعدما تعلمه ، ومن أجل دفع فساده ؛ لأنه قد يظهر التوبة وهو غير صادق ، بل من أجل أن يتقي القتل .

ولا يجوز الذهاب إلى السحرة وتصديق السحرة فالسحرة مثل الكهان أو شر من الكهان ، وقد قال النبي : (من أتى كاهنا لم تقبل له صلاة أربعين يوما ) وقال ( من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ) والسحر الطاغوت ومن الجبت وهو شر من الكهانة .

باب ما جاء في الكهان ونحوهم :

فقوله : " باب ما جاء في الكهان ونحوهم " يعني : ومن كان مثلهم من العرافين والرمالين وغير ذلك ؛ لأن هذا باب يشمل كل ما هو من نوع الكهانة .

والكهانة معناها ادعاء علم الغيب ، بطرق شيطانية .

فالكاهن هو : الذي يخبر عن المغيبات من الأشياء المستقبلة ، والأشياء المفقودة والضالة ، بسبب أنه يخضع للشياطين ؛ لأن الشياطين عندهم مقدرة ليست عند الإنسي ، فهم يرتفعون في الجو ويحاولون استراق السمع من السماء ، ثم يخبرون بما يسمعون من يخضع لهم من الإنس ، ثم هذا الإنسي يأخذ الكلمة التي سمعت من السماء ، ويكذب معها مائة كذبة ، من أجل أن يلبس على الناس .

ولا تخبره الشياطين إلا إذا أطاعهم ، وكفر بالله وأشرك بالله ، ونفذ ما تمليه عليه الشياطين من الكفر والشرك .

وكانت الكهانة سوقا رائجة عند العرب في الجاهلية ، وكان الكهان لهم شأن عند العرب .

فلما أراد الله بعثة نبيه محمدا حرست السماء بالشهب ، ومنعوا من استراق السمع .

" روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم "

قال : " من أتى عرافا " العراف اسم عام يدخل فيه كل من أخبر عن المغيبات ، سواء عن طريق الشياطين ، أو عن طريق الحدس والتخمين .

(فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما ) " فصدقه " ليست في صحيح مسلم ، فالحكم مرتب على مجيء العراف فقط ؛ لأن إتيان العراف والذهاب إليه جريمة ومحرم ، حتى ولو لم يصدقه ، فهذا الحديث يدل على تحريم الذهاب إلى العرافين ، حتى ولو لم يصدقهم ، ولو قال : أنا أذهب من باب الاطلاع ، فهذا لا يجوز .

" لم تقبل له صلاة أربعين يوما " فدل هذا على شدة عقوبة من يأتي العراف وأن صلاته لا تقبل عند الله ، ولا ثواب له عند الله فيها ، وإن كان لا يؤمر بالإعادة .

قال : " وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من أتى كاهنا . . . إلخ " ! هذا الحديث فيه شيئان :

الشيء الأول : اﻟﻤﺠيء إلى الكاهن . ، والشيء الثاني : تصديقه بما يخبر به من أمر الكهانة .

وحكمه : أنه يكون كافرا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لأنه لا يجتمع التصديق بما أنزل على محمد والتصديق بما عند الكهان من عمل الشياطين ، ضدان لا يجتمعان ، لا يمكن أن يصدق بالقرآن ويصدق بالكهانة . وظاهر هذا أنه يخرج من الملة .

**فقد دلت هذه الأحاديث على مسائل :**

**المسألة الأولى :** بطلان الكهانة ومشتقاﺗﻬا من العرافة وغير ذلك من دعاوى علم الغيب ، وأن هذا كله باطل ؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله .

**المسألة الثانية :** في الحديث دليل على وجوب تكذيب الكهان ونحوهم وأن لا يقع في نفس الإنسان أدنى شك في كذﺑﻬم ، فمن صدقهم أو شك في كذﺑﻬم أو توقف ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لأنه يجب الجزم بكذﺑﻬم .

**المسألة الثالثة :** فيها دليل على تحريم الذهاب إلى الكهان ولو لم يصدقهم ، وأنه إذا فعل ذلك لم تقبل له صلاة أربعين يوما .

**المسألة الرابعة :** فيه دليل على أن تصديق خبر الكهان كفر بما أنزل الله على رسوله والذي أنزل الله على رسوله هو الكتاب والسنة .

**المسألة الخامسة :** تدل هذه الأحاديث على وجوب معاقبة الكهان ومن يذهب إليهم من قبل ولاة الأمور لأن خطر الكهان في اﻟﻤﺠتمع خطر شديد يقضي على عقيدة التوحيد .

وبعضهم يقول : أنا انتفعت من ذهابي إلى هؤلاء ، أنا كنت مريضا وانتفعت ، وحصول الحاجة ، أو حصول الغرض ليست دليلا على الجواز ، فقد يعطى الإنسان حاجته من باب الفتنة ، ومن باب الاستدراج والاختبار ، والعبرة في كونه دل الدليل الشرعي على جواز هذا الشيء أو على تحريمه هذا هو الشأن .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : ليس منا من تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له ومعنى : " تكهن " فعل الكهانة ، ومعنى : " تكهن له " فعلت الكهانة من أجله بطلبه .

**العراف : الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل ﺑﻬا على المسروق ومكان** **الضالة ، ونحو ذلك "** وهذا من الشيطان ، فالشياطين تأتيه بذلك ، لكن يتظاهر بعمل أشياء يظن الناس أن هذه الأشياء من الأمور المباحة ، لكن هذه رموز فقط ، وإلا في الحقيقة هو يتعامل مع الشيطان ، وإلا ما الذي يدريه عن مكان المسروق ، وما الذي يدريه عن مكان الضالة لولا أنه يتعامل مع الجن ومع الشياطين .

"**وقال أبو العباس ابن تيمية "** " **العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم "** ؛ لأن كلمة العراف عامة يدخل تحتها كل من يدعي معرفة المستقبل ، سواء بكهانة أو بتنجيم أو بخط في الرمل ، فكلهم يتعاملون مع الشياطين ويتقربون إليهم .

وأما اختلاف الوسائل ، هذا يستعمل كذا ، وذا يستعمل كذا ، فلا عبرة ﺑﻬا ؛ لأن النتيجة وهي ادعاء علم الغيب نتيجة واحدة .

والحكم أن كل هؤلاء كفرة ؛ لأﻧﻬم يدعون مشاركة الله تعالى في صفة من أعظم صفاته وهي علم الغيب .

قال الشيخ رحمه الله" **وقال ابن عباس في قوم يكتبون (أبا جاد) وينظرون في** **النجوم** (أبا جاد) ، المراد ﺑﻬا حروف الجمل التي هي : (أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن) إلى آخره ، وهي حروف مقطعة يكتبوﻧﻬا لتمييز الجمل ، والمشعوذ إذا كتب هذه الحروف قال : يحدث كذا ويكون كذا ، وهذه في الحقيقة طلاسم .

" ما له عند الله من خلاق " أي : ليس له نصيب من الجنة عند الله ومعناه أنه كافر .

فهذا حكم عبد الله بن عباس رضي الله عنه على أصحاب الطلاسم الذين يكتبون الحروف المقطعة ، وينظرون في النجوم ويقولون : سيحدث كذا . فهذا من ادعاء علم الغيب وهو طريقة من طرق الكهانة أو العرافة أو التنجيم أو السحر ، سمها ما شئت ، لا يهمنا الأسماء ، الذي يهمنا النتيجة والحكم الشرعي . أما الذي يكتب (حروف الجمل) لتمييز الجمل فقط وهو تمييز الفقرات ، فهذا لا بأس به .